

Common Intellectual and Social characteristics of the Batini's in Iran and the Druze

Mohammad Rida Wasfi

الدروز

يحظى الدروز بما لهم من طريقه فكريه ومذهبيه، بموقع خاص في الشرق الاوسط اذ نرى لديهم حضور الشهود النابع من اشراق القلب والذهن، وهو شهود من علم لدي تبحت طريقته عن الحقيقه المطلقة في الوقت الذي نتحدث فيه عنها، وذلك وفق منهج فلسفي عرفاني يمكن ان نطلق عليه صفة الباطنية بسبب طبيعته المستعصية التي جعلت سير اغواره موقفا على القلة.

ومن المعروف ان البعد الباطني نمط من انماط الفكر الاسلامي، وسيلة للولوج من محيط الدائرة نحو مركزها. لقد تكونت في التراث الاسلامي، وعبر قرون طويلة، آراء ومواقف فلسفية وعرفانية مختلفة، وساهمت ظروف تاريخية في تدعيمها، فهناك المذهب المشائي الفلسفي الذي يمكن تسميته " مذهباً " بالمعنى التقليدي لكلمة " مذهب "، وهناك مذاهب علم الكلام من "معتزلة" و"اشعرية" و"ماتريديه" و"شيعية اثني عشرية" ومذاهب اخرى عرفانية.

لقد وقف معظم المحققين الذي تناولوا تاريخ الدروز، عند الاصول الاسماعيلية الفاطمية للطريقة الدرزية، في حين يجب التعاطي مع المسألة على ان الاوضاع الاجتماعية والسياسية في ذلك الزمن لم تكن محصورة في المسائل التي برزت بعد موت العزيز بالله ووصول الحاكم بأمر الله الى الحكم، فضلا عن ان الحاكم بامر الله وهو اول خليفة فاطمي وضع القسم الشرقي من العالم الاسلامي في صلب اهتماماته، وان الافكار التي تولدت بينهم بعد الدعوة، قد لاقت رواجاً واسعاً في الشرق، تجاوزت جغرافيا حدود الشام وفلسطين ولبنان، وبعبارة اخرى، اقتصر الافكار الدرزية بداية على جغرافية اللغة العربية وبلدانها، لكن دائرة هذه الافكار اتسعت شرقاً لتشمل مختلف البلدان المجاورة ولغاتها. فالطرق الباطنية المجاورة للدروز في كردستان وايران لم تكن مستقلة عن الدروز، فجميعها تعود الى عائلة واحدة مرتبطة فيما بينها. وقد تعرضت بعض هذه الطرق الباطنية للزوال بسبب الضغوط السياسية التي مورست عليها زمن السلاجقة والمغول، واضطر ما بقي منها الى تغيير معتقده زمن الدولة الشيعية الاثني عشرية الصفوية في ايران، سنة 1501 م، كالتريقة الحروفية او طريقة الشاه نعمة الله او الاسماعيلية النزارية الشديدة الارتباط باسماعيلية الشام.

اهل الحق

"اهل الحق" طريقة من الطرق الباطنية الحية في ايران، وهم على قرابة فكرية من الدروز ويشبهون الى حد بعيد الاسماعيلية النزارية والنصيرية.

ويسمى "اهل الحق" باسماء مختلفة مثل "اهل السر"، "يارسان"، "محبى الحق"، "نصيري"، "علي اللهى"، ولا بد من دراسة عاداتهم وتقاليدهم وافكارهم الدينية للوقوف على العلاقة الفكرية بينهم وبين الدروز. كما لا بد من الاشارة قبل الدخول في التفاصيل الى ان طريقة "اهل الحق" كانت منتشرة في ايران خلال القرن السابع في منطقة لرستان بين العشائر البختيارية وغيرهم، ثم انتقلوا الى مناطق غرب كردستان وكرمنشاه وبين القبائل الكردية الكورانية والقلمانية ومعظم القبيلة السنجادية وفروع من قبيلة كلهر وزكنه وعشائر عثمانوند وجلالوند التي استوطنت مدنا مثل قصير شيرين وسريل ذهاب وكِرند وصحنه. ويعيش اتباع هذه الطريقة ايضا في مناطق دلفان وخلف الجبل في محافظة لرستان وبين عشائر لكستان وسكوند وكذلك في انريجان وتبريز حيث يسكنون حي جرنداب وقرية ابلخجي القريبة منها. كما ينتشرون في مراغة وضواحي مدينة قزوین وضواحي العاصمة طهران. ونجدهم كذلك في شمال افغانستان وجنوب تاجيكستان في محافظة بدخشان وصولا الى الصين.

تاريخهم

تاريخ "اهل الحق" غير واضح تماما، ويشير بعض الباحثين الى ان افكارهم تعود الى القرن الثاني الهجري. ومن اشهر شخصياتهم بهلول الذي عاش في اوائل القرن الثاني الهجري وباباسرهنك في القرن الرابع وشاه خوشين الارستاني الملقب بمبارك شاه المولود عام 406 الهجري وبابا نا اوس المولود عام 477 في كردستان. واما الشخص الذي وضع نظاما فكريا لهذه الطريقة فقد كان سلطان اسحق الذي يعتبر التجلي الخامس للالوهة لديهم. وهو من اهالي برزينجه - Barzinja في كردستان العراق، ولا معلومات دقيقة حول تاريخ ولادته. فالبعض يقول انه ولد في القرن السابع الهجري والبعض الاخر في القرن الثامن، وقد انتشر اصحابه في الصين والهند وبخارى.

وعلى اي حال، لا يوجد تاريخ مكتوب وواضح لاهل الحق قبل نهاية القرن الخامس الهجري.

اساس الطريقة

تهدف طريقة " اهل الحق " الى الوصول الى الحق الذي هو الله ، ولأجل ذلك لابد من الشريعة والطريقة والحقيقة.

فالظاهر عندهم اي الشريعة هو الالتزام بأداء الفرائض الدينية الواردة في القرآن والحديث النبوي . والطريقة وسيلة للوصول الى الحقيقة اي الى مقام الواصل.

والباطن عندهم يقوم على اساس ان لكل عمل ولكل قول تأويلا خاصا لا يعرفه الا ائمتهم وعلمائهم وهذا التأويل الباطني هو ما يميزهم عن اخوانهم المسلمين.

ويعد سلمان الفارسي عندهم الشخص الذي اعطيت له الحقيقة من علي بن ابي طالب.

التناسخ والحلول

التناسخ ركن اساسي من اركان طريقتهم ويعنون به انتقال الروح من قالب الى قالب آخر ، اي من جسم ترابي الى جسم ترابي آخر . فهو كغياب البط تحت سطح الماء وظهوره من جديد ، والغاية منه التطهر من الذنوب والسمو المعنوي ، وبناء على هذه الفكرة ، يكون المعاد في الدنيا ، ولا يزيد البشر او ينقصون ، فالارواح محدودة ومخلوقة من نور العقل الكلي . لذلك لا يخاف اهل الحق الموت ، بل يعزفون عند موت احد رجالهم الكبار على آلة التنبور الوترية .

كما يؤمنون بالحلول ، اي حلول الذات الالهية في الاشخاص ، ويذهب بعضهم الى حلول الذات الالهية في سلطان اسحق وعلي بن ابي طالب .

الصلاة والنذورات

يسمى مكان العبادة لدى " اهل الحق " بـ " جم " او " جمخانه " حيث تقام الصلاة لمرة واحدة اسبوعيا شرط ان يتجاوز عدد المصلين الثلاثة ، ويترافق ذلك مع تقديم الهدايا للشيخ .

ويشترط في المصلي ان يكون رجلا ، عاقلا ، بالغا ، متحرما ، اي يضع حزاما ، وعليه قبل الدخول ان يسجد امام الباب ويقبل العتبة.

واما الصلاة فتشمل ادعية واورادا وانشيد يصاحبها الضرب على التنبور.

واما النذورات فتقدم في الاماكن المقدسة اسبوعيا او شهريا .
واما الصيام ، فصيام ثلاثة ايام من ايام فصل الشتاء .

الاخلاق

تشبه الاخلاق لدى " اهل الحق " الى حد كبير اخلاقيات سائر الطرق الباطنية . فهي تركز على اربعة عناصر ، باكي (صفاء الروح) ، راستي (الصدق في الكلام) ، نيستي (الابتعاد عن الالهواء والفناء في الله) ، ردا (الخدمة الصادقة لخلق الله) .
لذا فهم دائما يدعون الى الخير ، والقول الحسن والبراءة من الابالسة والطغيان وحفظ الاخوان ، وتوحيد الخالق والرضا والتسليم له والبراءة من العدم والبهتان . كما يبتعدون عما يضر اجسادهم كالتدخين مثلا.

لعلي اطلت الحديث عن " اهل الحق " ، لكن الغاية كانت اظهار بعض الجوانب المشابهة لما هو عند الدرور . واعتقد انه لمن الجدير بالبحث ، ان نولي هذا التشابه عناية اكبر في ابحاث موسعة مستقبلا .